بقلم: زياد دكاش
www.esoteric-lebanon.org

سفير الحب ومُجسّد المحبة والحياة في الإنسان

القلب.. الخافق المعذب

من منا لم يرسم شكل القلب تعبيراً عن شعور الحب على بطاقة معايدة أو رسالة حميمة؟ ومن منا لم يعتبر القلبَ مركزاً للحب ومصدراً للإلهام عندما يكون مفعماً بالمشاعر الجيّاشة.. ومصدرَ ألم واضطراب عندما يكون واجفاً بسبب الحزن أو القلق؟

كم من طبيب أمضى سنوات طويلة في دراسة سرّ ذلك العضو الأساسي الذي يمُدُّ الجسد وأعضاءه بالغذاء ويشكل مصدر الحياة والحركة.. وكم من باحث أدرك في القلب إبداعاً هندسياً ذا نظام ذاتي مبرمج ودقيق للغاية!

الطب البديل وجد فيه مصدر الطاقة وينبوع الصحة والحياة.. وبعض الأدباء والشعراء الرومانسيين اعتبروه ينبوعاً للعطاء ومحوراً للمحبة.. وغيرهم اعتبروا القلب، مصدر إرادة وشجاعة، وصولاً إلى من تراءى له أن القلب أقدس ما في الجسد وإيقاعَ نبضاته على ارتباط وثيق بالروح..

تعددت المفاهيم لكن لم يغفل أحدها في وصف القلب بناء على الخبرة الشخصية في الجانب الخاص لكل منها ولو بقي السبب خافياً. فكلُّ إنسان رأى فيه البعد الذي يتفاعل فيه أكثر من غيره، أو الذي يُطغي على الأبعاد الأخرى في حياته اليومية.

أما الإيزوتيريك، فيرى في القلب المفاهيم مجتمعة، باعتبار أنها انعكاس للأبعاد السبعة في كيان الإنسان وهي: جسد، صحة، مشاعر، فكر، محبة، إرادة، وروح. لا بل يرى الأبعاد السبعة تلك في كل عضو وفي كل خلية في الجسد، وليس في القلب فقط.

علاقة القلب بالقلب الكوني

من هنا، سنستعرض علاقة القلب مع أبعاد الكيان أو الأجسام الباطنية، وعلاقة هذا القلب البشري بالقلب الكوني أو قلب الوجود.. بذلك نربط بين الأوجه العديدة للحقيقة الواحدة، ونلقي الضوء على ما لم يتوصل إليه العلم بعد..

نستشهد هنا بما ورد في الإصدار رقم 41 في سلسلة مؤلفات الإيزوتيريك «أسرار تكوين الجسم البشري» بقلم د. جوزيف مجدلاني ص97: «القلب، هذا العضو الخافق أبداً، رمز الحياة ومجسّد وجودها.. مصدر الحياة وينبوعها الذي لا ينضب.. مركز النبض واستمراريته.. الطاقة التي تبثّ زخم الحياة في سائر أنحاء الكيان، مركز النقطة التي انطلق منها كل حي، وإليه تعود كل نتيجة.. نواة الحياة الأولى التي زخّت الأعضاء نبضاً ثم كوّنتها شكلاً.. إلى ما هنالك من صور رمزيّة وتشابهيه مجازيّة تزداد يوماً بعد يوم لأن استقصاء حقيقة وعظمة هذا العضو لم ينتهِ بعد!»

يدرك الأطباء أن القلب يضخ الدم لأعضاء الجسد وأطرافه، منعشاً إياها بالغذاء وبالحيوية والنشاط. لكن هل تساءلوا كيف يمكن أن تكون كل تلك العملية الدقيقة والبالغة الأهمية رهن حركة عضلة واحدة أو عضو مادي؟ وإن كان القلب ينبض بتناغم مع حركة قطرات الدم، فهل ذلك يعني أنه العامل الوحيد الذي يحرّك سريانها!؟

من هذا المنطلق تساءَل في أوائل القرن السابع عشر العالم الإيطالي بوريلي (Borelli) وهو تلميذ غاليليو (Galileo)، ثم في القرن التاسع عشر تساءل الإيزوتيريكي رودولف شتاينر (Rodolph Steiner) وعلماء آخرون: «هل القلب المادي هو المسؤول (الأوّل) عن حركة الدم في الجسد!؟»

القلب في المراحل الأولى

عام 1932، صور العالم الألماني بريمير (Bremer) من جامعة هارفرد قطرات الدماء في مراحل تكوين الجنين الأولى، ولاحظ أنها تسري في شكل لولبي. وذلك قبل أن يكتمل نظام ضخ الدم عبر التجاويف الأربعة في القلب.. أي أنه كان هناك طاقة أخرى تساهم في تلك الحركة. ويلاحَظ أن الشرايين تحوي مسارات محفورة بشكل مخروطي لولبي لتساعد على سحب الدماء وإعادته عندما يتقلص ويتمدد قطر الشرايين. فهل تغيُّر قطر الأوعية الدموية هو نتيجة لقوة تدفق الدم أم أن قوة تدفق الدم ناتجة عن تقلص وتمدد قطر الشرايين وعوامل أخرى، بينما القلب يتسارع إيقاعه وهو يقوم أيضاً بدور صمام الأمان..؟!

يشرح الإيزوتيريك في كتاب «أسرار تكوين الجسم البشري» أن «الدم هو السائل الوحيد الذي ينساب في إيقاعات النبض كافة (التي تمثلها سبعة أعضاء قيادية في الجسد) تتداخل فيها وتتفاعل معها.. لكأنما عبر الدم يتوحّد إيقاع الجسد كنبض متكامل لكليّة العمل المشترك الذي تترجمه دقات القلب كأقوى درجة نبض (محسوس) في الكائن البشري.»

اتصال القلب بالجسم الأثيري

ويفيدنا الإيزوتيريك في كتاب «اعرف قلبك» «أن القلب على علاقة بالطحال (مركز شاكرا الجسم الأثيري)، علاقته هي علاقة تنسيق بين التخطيط والتنفيذ، يقوم بها الدماغ بدور المراقب والمنظم. هذا والقلب على اتصال بالجسم الأثيري نفسه عبر الدماغ وعبر ذبذبات الأثير التي تحيط بالقلب وتتخلله، وذلك لتوفير كمية الدم الجديدة التي ينتجها الطحال. الهالة الأثيرية تتحكم بالكمية المطلوبة، كما أنها تقوم بدور المصفاة للذبذبات الواردة من الفضاء أيضاً، لتوفير طاقة الحياة للدورة الدموية، وكذلك لسائر الأجسام الباطنية.

إذاً يرتبط القلب بالأعضاء والمراكز الأخرى في الجسد من جهة، وبالجسم الأثيري اللامادي في الإنسان من جهة أخرى، وذلك يجعله يتأثر بتقلبات النفس البشرية التي تنعكس في الجسم الأثيري. لكن ما الذي يجعل من القلب مركز الحنان ومشاعر الحب؟ ما الذي يجعله الخافق المعذّب؟

يجيب الإيزوتيريك في ص 36 من كتاب «اعرف قلبك» أن القلب العضوي على اتصال بالقلب الأثيري، أي بالضفيرة الشمسية ومركزها في وسط الجسد، وهي شاكرا جسم المشاعر. ومن خلال هذا الاتصال يتأثر ضغط الدم وسرعة نبضات القلب بذبذبات المشاعر..

لكن ما الذي يحدث بالتفصيل على الصعيد المادي والأثيري - الذبذبي؟

كيف تحدث العملية

تنقبض عضلة القلب بمعدّل سبعين مرة في الدقيقة، بسبب حركة الأيونات (Ions)، أي الذرات المشحونة سالباً أو موجباً، وهي تتجه دخولاً وخروجاً عبر جدار خلايا القلب. إزدواجية السالب والموجب هذه تشكل حافزاً للحركة في القلب، وتنقل الطاقة من حالة الوجود بالقوة (Potential Energy) إلى الحركة الكهربائية ومن ثَمَّ الآلية بالفعل.

لكن ما الذي يتحكم بحركة تلك الأيونات أو الذرات المشحونة سالباً وموجباً؟ وما الذي يتكثّف ليفتعل التحريض الكهربائي الأولي لكل نبض في العقدة الجيبية الأذينية (Sinoatral node) في عضلة القلب؟

يفيد الإيزوتيريك في كتاب علم الألوان بقلم ج.ب.م، بأن الأشعة اللونية الكونية (ولا سيما الشعاع الأحمر) التي تتلقاها الضفيرة الشمسية من طبقة الوعي الخاص بجسم المشاعر، هي التي تتحكم بحركة شحنات الأيونات أو الذرات السالبة والموجبة، التي تؤمن خفقان القلب واستمرارية عمل الأعضاء، وهي التي تحافظ على مكونات الدم والبلاسما والخلايا، وخصوصاً تلك المسؤولة عن قوة الخلايا الذاتية (Desmosomes in the cells) وتماسكها في وحدة، بالرغم من شدة خفقان القلب!

الطب وعلم نشوء الحياة (البيولوجيا) تَدْرُسان حركة القلب، لكنها تبقى في البعد المادي والوراثي للخلية، أي من دون بحث في طبقات الخلية اللامادية وفي ذبذبات جسم المشاعر، التي تتخلل

ثمة اتصالاً نورانياً على جانب كبير من الدقة يمتد من الطبقات الروحية العليا إلى شاكرا القلب

من المستحيل أن يرتقي الإنسان عبر دوائر الوعي إن لم يتخطّى أولاً محدودية دائرة الأنا من خلال الحب

ليست مصادفة أن يكون القلب هو العضلة الوحيدة في الجسد التي لا تتعب!

نبضات القلب لا تتوقف عن الخفقان كأمواج البحر بين صعود وهبوط..!

الخلايا وتتمدد في الفراغات بينها لتسبب تلك الحركة..

القلب مركز المحبة

ويبقى السؤال الأهم، لماذا يُعْتبَر القلب مركز المحبة ومجسِّد العطاء؟

يجيب الإيزوتيريك أن القلب يقع بموازاة شاكرا جسم المحبة، (شاكرا القلب)، ومن لم يطلع على ماهية الأجسام الباطنية وشاكراتها، لا يستطيع التمييز بين وقع خفقان عضلة القلب عندما تتسارع، والتماوج الصادر عن شاكرا جسم المحبة عند الشعور بالمحبة المتأججة.

لعلّ ذلك يفسر المقولة: «استمع إلى قلبك قبل أخذ القرارات» كون موقع القلب بموازاة شاكرا المحبة، شاكرا المنطق السامي والمعرفة الكامنة في الذات العليا في الإنسان!

إن شكل الX بين التجاويف الأربعة في وسط القلب (كذلك عند التقاء الشرايين الأساسية)، يرمز إلى الرقم خمسة، أي التقاء الروح بالمادة. وهو بداية تسامي صرح الإنسان من القاعدة المادية الرباعية إلى هرم الذات العليا. فلا عجب إن كان القلب هو العضو الوحيد الذي ينمو من الأعلى إلى الأسفل! والقلب يقع بين الجذع والرأس، ويرمز إلى الرابط بين النفس والذات، والرابط بين أعضاء الجسد كافة من خلال شبكة الدم، كما المحبة تشكل الروابط بين الأبعاد.

ليست مصادفة أن يكون القلب هو العضلة الوحيدة في الجسد التي لا تتعب! بينما سائر العضلات الأخرى تبني مواد أسيدية (Lactic Acid) تؤدي إلى الألم والإرهاق عند طول الاستعمال.. وكأننا نتعلم من القلب تقنية العطاء المستديم..

وشاكرا القلب هي الشاكرا الوحيدة التي تكفي نفسها بنفسها.. مما يعيد إلى الأذهان قول جبران خليل جبران: «المحبة لا تعطي إلا ذاتها، المحبة لا تأخذ إلا من ذاتها.. لأن المحبة مكتفية بالمحبة».

نبض لا يتوقف

إن نبضات القلب لا تتوقف عن الخفقان، كأمواج البحر بين صعود وهبوط.. إيقاعها يعكس تفاعلات الباطن في حركة القلب، وكلما اقتربت تلك الحركة من إيقاع المحبة ومعادلة الوعي، تسامت المشاعر الإنسانية نحو المشاعر الروحية، واقترب القلب إلى الشكل الدائري، رمز الكمال، كما يقول العارفون.

وكما ورد في كتاب «أسرار تكوين الجسم البشري»: «القلب مركز الحياة وقاعدة الحب والمحبّة. لا بل هو نواة المحبّة التي أودعها الخالق في مخلوقاته، ليرتفع الصرح الإنساني على مداميك الوعي.»

ويضيف الكتاب نفسه أن «زخم الانفعالات والتفاعلات – حتى الفكرية منها – سيَّما عند الارتقاء من مرحلة إلى أخرى، يرتكز في القلب، كشعور الانتشاء مثلاً.. فعلى مثال هذا المسار اللولبي التصاعدي استمدّ القلب شكله.»

على ضوء ما تقدّم، يتبيّن ارتباط القلب بأجهزة الوعي ومراكزها.. وعلاقته بالمشاعر والمحبة.. لكن، ماذا عن سرّ نظامه و برنامج عمله الدقيق؟

يستمد القلب نظامه الهندسي الفائق الدقة، وبرنامج عمله من التماوجات أو الأوامر والرسائل الصادرة من المخيخ (غرفة العمليات)، التي تصدر نتيجةً لرسائل وعي الباطن بموجب برنامج الكارما (والمرتبطة بالجسم العقلي والعقل الكلي). يرى الطب انعكاساتها في التفاعلات الكيميائية، كرسائل الغدد الهرمونية ورسائل الوطاء (Hypotalamus) العصبية في الدماغ، من دون إدراك مصدرها الذبذبي وماهية برنامج الكارما..

نظام حركة القلب

كتاب الإيزوتيريك «رحلة في مجاهل الدماغ البشري» يفيد أن نظام حركة القلب، المبرمج في المادة الرمادية في الدماغ، ينقل إلى المادة البيضاء عبر غشاء ذبذبي رقيق جداً يفصل الاثنين عن بعضهما البعض، فتقوم المادة البيضاء بنقل الرسالة إلى عضلات القلب عبر الامتدادات العصبية المتفرعة من النخاع الشوكي إلى سائر أعضاء الجسد. والدماغ يساهم في التوقيت كون جدار أوعية الدم على اتصال بالنخاع الشوكي وبالدماغ عبر الأعصاب المتفرعة منهما!

الشبكة العصبية التي تبرمج خفقان القلب على اتصال بالمخيخ – والمبرمجة في كون المخيخ – المهندس الباطني للقلب – العضو الوحيد الذي لا يدخله الدم.. ولا عجب أنه لا يعتمد على الدم كغذاء كونه يحوي من جسمنا ما يحويه، برنامج حركة انتشار العطاء!

يعلم الجميع أن القلب يعتبر من الأعضاء اللاإرادية. إلا أن حركته تخرج عن نطاق سيطرة الإرادة البشرية الظاهرية، لكنه على علاقة بالإرادة

القلب العضو الوحيد الذي ينمو من الأعلى إلى الأسفل وهو يقع بين الجذع والرأس ويرمز إلى الرابط بين النفس والذات

القلب على اتصال بالجسم الأثيري نفسه عبر الدماغ وعبر ذبذبات الأثير التي تحيط بالقلب وتتخلله

الدم هو السائل الوحيد الذي ينساب في إيقاعات النبض كافة

حركة الدماء في القلب المادي كحركة النبذبات في كيان الإنسان لا تتوقف بل تمد الإنسان بالطاقة والحياة

الإنسانية أو الإرادة الروحية الباطنية في الإنسان، حتى لو لم يكن الإنسان يعي هذه الحقيقة. يتجلى ذلك في علاقته بشاكرا الجبين (شاكرا جسم الإرادة التي تقع بمحاذاة الغدة الصنوبرية) والتي تبث إشعاعات ذبذبية وكهرومغناطيسية لتحديد كمية الدم التي تجري في الشرايين عامةً وفي شرايين القلب خاصةً، (كما ورد في كتاب الإيزوتيريك علم الألوان) وذلك بالتنسيق مع الغدة النخامية حيث تدخل طاقة الحياة التي تسيّر القلب والأعضاء اللاإرادية، كجريان الدم، والتنفس ونبضات القلب بشكل متزامن مع تنسيق إضافي من الدماغ.

وشاكرا القلب على اتصال مباشر بشاكرا جسم الإرادة. هذا الاتصال يزود الجسد بالحرارة الطبيعية وانتظام الدورة الدموية.

إذاً إيقاظ الإرادة الباطنية الهاجعة في الإنسان، في مراحل تطوره المتقدمة، يمكّنه من السيطرة والتحكم أكثر فأكثر بحركة القلب وسائر الأعضاء اللاإرادية، فينتقل زمام السيطرة تدريجاً من نطاق إرادة وعي الباطن إلى إرادة وعي الظاهر.

علاقة القلب بالروح

أما علاقة القلب بالروح، فتكمن في صلته بالمركز الباطني في هامة الرأس وهو شاكرا التاج، الشاكرا الخاصة بجسم الحكمة (شعاع الروح) في الإنسان. يعلمنا الإيزوتيريك في كتاب «علم الألوان» أن ثمة اتصالاً نورانياً، على جانب كبير من الدقة، يمتد من الطبقات الروحية العليا إلى شاكرا القلب.. وهذا الاتصال أو الخيط النوراني الدقيق هو ما يجعل القلب سريع التأثر بأي طارئ أو صدمة.

هذا والأعضاء اللاإرادية تتلقى طاقة الحياة والحيوية والاستمرارية مباشرةً من الفضاء الخارجي، عبر الغدة النخامية (مركز شاكرا الإرادة الروحية) وأيضاً عبر الشاكرات مباشرةً. وذلك من دون وساطة الدماغ أو ترجمة هذه الذبذبات عبر التجاويف الأربعة.

إذاً، أن نُحدَّ القلبَ في بعد واحد من الأبعاد السبعة فقط، يعني أن نُحدَّ أنفسنا، ومفهومنا لتركيبة كياننا، في منطق ذلك البعد وحسب. فيَغيب عنا ما يتعلق بسائر الأبعاد، إن كان من الناحية الصحية أو الحياتية، أو فيما يخص التطور بالمعرفة والوعي..

وتغيب عنا علاقة الإنسان بالقلب الكوني - قلب الوجود.. المتمثل في قلب الشمس..

ترى، ما هي هذه العلاقة، التي تربط القلب البشري بالقلب الإنساني، والقلب الإنساني بالقلب الكوني؟!

في القلب البشري، تتدفق قطرات الدم عبر التجاويف، (الأذينين - Atriums)، (والبطينين -Ventricules)، في تتابع دقيق، وتضخ في قنواتها (أي الشرايين) إلى الجسم من جهة لتغذيته، وإلى الرئتين من جهة أخرى لتنظيف الدم، ثم تعود لتبدأ دورة جديدة. إذا ما أمعنّا النظر في دوران تلك القطرات نراه يشبه ما يجري على صعيد شاكرا القلب (القلب الإنساني) حيث تنطلق الإشعاعات من نقطة النور في الوسط إلى الجسد لتنظيفه من الترسبات وتضميخه بالوعي. وحركة الدماء في القلب المادي، كحركة الذبذبات في كيان الإنسان، لا تتوقف.. تمد الإنسان بالطاقة والحياة، وتمر عبر التجاويف لتُبَرْمَج من جديد وتُحَدَّد وجهة سيرها وهي تنتقل في القنوات الذبذبية.

أما مصدر تلك الذبذبات ولا سيما ذبذبات شاكرا القلب، فيعود أصلاً إلى القلب الكوني، الذي يبث النور عبر الشمس، في كل أنحاء الكون، مروراً بالكواكب والقنوات الذبذبية وعبر الأنظمة الفضائية الدقيقة بعد أن يستمد النور الحقيقي من قلب الوجود الأعظم - الإله كلي القدرة والجمال والبهاء!

من ذلك القلب الأقدس، انطلق النبض الأول الذي حوى كل نبض وكل حركة، وحوى الوجود والحياة والإنسان، انطلق من النور الإلهي، النابض محبةً قبل القلب البشري وحتى قبل الما قبل.. ومعه انطلق الإنسان، ليعود إليه بعد اكتمال دورة تطوره.

بين القلب البشري والقلب الإنساني (أي شاكرا القلب) والقلب الروحي الكوني النابض محبةً أبدية، علاقة جوهرية تربط الأصل بتدركاته وانعكاساته.. هذا والقاسم المشترَك بينهم جميعاً هو المسار الدائري اللولبي الذي ينطلق من القلب البشري ليعود إليه، مكملاً مرحلة أو مدار تطور.. وهذا القلب نفسه نواة تدور أيضاً في دائرة أوسع، وفق نبضات قلب أسمى، في سعي لكمال أرقى..

لكن على الإنسان أن يتذكّر أن الرابط بين جميع تلك الدوائر والمراحل.. هو المحبة، وأنه من المستحيل أن يرتقي الإنسان عبر دوائر الوعي إن لم يتخطّ أولاً محدودية دائرة الأنا من خلال الحب..

على الإنسان أن يتذكّر أن الرابط بين جميع تلك الدوائر والمراحل.. هو المحبة

يعلم الجميع أن القلب يعتبر من الأعضاء اللاإرادية إذ إن حركته تخرج عن نطاق سيطرة الإرادة البشرية الظاهرية